من صور التغير النحوي للعربية

د. مختار درقاوي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

Summary :

Find that in your hands highlights the three images to change the grammar of the Arabic language the first picture for leaving college action grammar inherited from predecessor due to an act of limitations, and the second image reverse function usual in Heritage grammar Arab to the new post, and the third picture to combine the two functions, function grammatical referred to Heritage and function in the new generation.

Keywords:
Grammar change- Enallage – Usage - Supply

Résumé:

Constater que dans vos mains montre trois photos pour changer la grammaire de la langue arabe, la première image pour quitter l'action de collège grammaire hérité de prédécesseur en raison d'un acte de limites, et la deuxième image de l'adoption d'un nouvel emploi à faire grammaire rouler dans la leçon de grammaire du vieux, et la troisième image de combiner les deux fonctions, la fonction grammaticale visée à l'patrimoine et générer de nouveaux emplois.

Mots-clés:
Grammaire changement - Énallage - Usage - Suppléance

الملخص:

البحث الذي بين يديك يستحضر ثلاث صور لتغير النحوي للغة العربية، الصورة الأولى تـرك العمـل كليـة بالإجراء النحوي الموروث عن السلف بسبب فعل التقادم، والصورة الثانية إقرار وظيفة جديدة للإجراء النحوي المتداول في الدرس النحوي القديم والصورة الثالثة الجمع بين الوظيفتين، الوظيفة النحوية المشار إليها فـي التـراث والوظيفـة الجديدة المولدة.

كلمات مفتاحية:

التغير النحوي – التضمين – الاستعمال – تعويض

ينم التغير النحوي مع قلته في اللسان العربي عن التطور المستمر الحاصل في اللغة، فقد يلاحظ المتكلّم أنّ كلمة أو إجراء نحويا ما، لم يعد كما كان في السابق؛ نتيجة ترك العمل به، أو عدول عن الوظيفة المسندة إليه إلـى وظيفـة جديدة أو عن طريق التناوب والجمع بين الوظيفتين؛ الوظيفة المعهودة التي أشار إليها علماء النحو قـديما، والوظيفـة الجديدة الطارئة. فهذه ثلاث صور للتغيير النحوي، وسيأتي بيانها.

الترك في العربية:

من أمثلة الترك في العربية المعاصرة نذكر زوال الألفات الآتية:[1]

- الألف المبدلة من نون التوكيد الخفيفة، كما في قوله تعالى: "وليكوناً من الصاغرين"[2]، وهذه وردت كثيرا في الشعر القديم، كقول أحدهم:

وإياك والميتات لا تقربَنّها ولا تعبد الشيطان، والله فاعبدا[3]

والتقدير: "فاعبدنْ".

- الألف عوضا من المضاف إليه، وهي التي تزاد في "بين" كقولك: بينا كنت أسير لمحتك من بعيد. ولا تعرف هذه الألف في العربية المعاصرة،والمعربون يستعملون بينما وهم يصلون إلى ما يريدون.
- الألف الزائدة في المنادى المستغاث أو المتعجَّب منه أو المندوب، نحو:

يا يزيدا لآملٍ نيلَ عزٍّ وغِنىً بعد فاقة وهوان[4]

وقال جرير:

حُمّلت أمراً عظيماً فاصطبَرتَ لهُ وقُمْتَ فيه بأمر اللهِ يا عُمَرا[5]

وقد يرد هذا بعد الواو في الندبة نحو قول المتنبي:

واحرَّ قلْباهُ ممّن قلبُه شبِم ومَن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ[6]

ولا تعرف العربية الحديثة هذه الألفات، بل إن باب الاستغاثة والندبة قد أوشك جملة أن يزول. وإن المعربين يعربون عن الاستغاثة وما يندرج في الندبة بأساليبهم فيظهرون توجعهم وتفجعهم وأسفهم في غير هذه القوالب[7].

ومن أمثلة ما نطق بها العرب القدماء وزال في العربية الحديثة نذكر:[8]

- "أجِدَّكَ": وهو مصدر نائب عن فعله المحذوف منصوب، ومعناه: أبجِدٍّ منك. وهذا من الكلم القديم الذي لا نعرفه في عربيتنا المعاصرة، وقد يتعذر وجوده في شعر الشعراء أصحاب القافية والوزن.
- "ألا": بفتح الهمزة مخففة، حرف في عدة معان لدى النحاة:
  - حرف استفتاح وتنبيه...
  - حرف عرض (وهو طلب برفق).
  - حرف تحضيض (وهو طلب بحث وشدة).
  - حرف توبيخ وإنكار.
  - حرف استفهام عن نفي.
  - حرف تمنٍّ بمعنى أتمنى.

ولم يبق من هذا كله إلا انصراف "ألا" إلى العَرض كقولنا: ألا تأتي معنا، وقد تنصرف إلى التوبيخ المستفاد من المعنى كقولنا: ألا تستحيي.

- "ألَّا": بفتح الهمزة وتشديد اللام وهي:
  - حرف تحضيض، نحو: ألّا تتهيّا للسباق.
  - أن الناصبة مدغمة في "لا".

أمّا الثانية فمعروفة في العربية المعاصرة بخلاف الأولى التي زالت ولم يبق شيء منها.

- "انبرى": من أفعال الشروع بمعنى "بدأ"، وهذا يعني أنّه يرفع الاسم وينصب الخبر، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع نحو: انبرى الصبي يلعب.

وليس يستعمل هذا الفعل في العربية الحديثة على هذا النحو، فقد يكثر أن نسمع: انبرى فلان في عمله، والفعل يتجاوز معنى البَدء والشروع، فيكون بمعنى مضى وجرى.

- "أيّ" الموصولة التي تضاف إلى المعرفة ويحذف صدر صلتها، وهي بلفظ واحد للمذكّر والمؤنّث، مفردا أم غير مفرد، عاقلا أم غير عاقل، نحو قوله تعالى: "ثُمَّ لَننزعَنَّ من كلِّ شيعَةٍ أيُّهم أشَدُّ على الرحمن عِتِيّا"[9]. وكقول غسان بن وعلة:

إذا ما لقيتَ بني مالكٍ فسلِّمْ على أيِّهم أفضلُ[10]

وهذا شيء من الكلم النحوي القديم الذي عفا أثره في العربية الحديثة.

- "أينما": اسم شرط جازم، ومنه قول كعب بن جُعَيْل:

صَعْدَةٌ نابتةٌ في حائرٍ أينَما الريحُ تُمَيِّلْها تَمِلْ[11]

وهذه من أدوات الشرط التي لا تُرى في عربيتنا المعاصرة.

- "حار": فعل ماض ناسخ مبني على الفتح بمعنى "صار"، نحو:

وما المرءُ إلّا كالشهاب وضوئه يحورُ رماداً بعدَ إذْ هو ساطعُ[12]

وليس لهذا الفعل من وجود في العربية الحديثة بهذا الاستعمال. إن الفعل "حار" في إعرابنا الحديث من "الحيرة" وهو فعل تام متصرف.

- "هيا": حرف نداء، قال الحطيئة:

فقال: هيا ربّاه ضيفٌ ولا قِرىً بحقِّكَ لا تحرمْهُ تا الليلةَ اللحما[13]

وليس في العربية المعاصرة شيء من استعمال هذه الأداة.

العدول عن الوظيفة المقررة:

ومن أمثلة العدول عن الوظيفة المعهودة والمألوفة عند النحاة إلى وظيفة جديدة طارئة قول العامة: "كم هو جميل"، و"كم أنا مسور" وما أشبه ذلك. وهذا من التراكيب الأعجمية الخالصة، فإنّ الذي تستعمله العرب في هذا المعنى هو: ما أَجْمله وأجمِل به، وهما صيغتا التعجب، ولا مكان لاستعمال "كم" هنا سواء كانت خبرية أم استفهامية. وهكذا نلحظ أن المتكلّم العربي المعاصر عدل عن صيغتي التعجب المقررتين في الدرس النحوي القديم إلى استعمال جديد بواسطة "كم"؛ فأضاف بذلك موضعا ثالثا لها وهو التعجب إلى الموضعين المشهورين والمتفق عليهما وهما: الاستفهام والخبر المقترن بالتكثير.

الجمع بين الوظيفتين:

ومن أمثلة التناوب والجمع بين الوظيفتين؛ الوظيفة المشار إليها في الدرس النحوي القديم والوظيفة الجديدة نذكر ظاهرة التضمين.

التضمين بوصفه مظهرا من مظاهر التغيّر النحوي:

التضمين من القواعد التي لفتت أنظار اللغويين فصرفوا وكدهم في بحثها وتحقيقها ،ولكنّهم اختلفوا في هذه الظاهرة العربية واتسع مضمار الخلف بينهم بين منكر ومؤيّد ،فمَال بعضهم إلى إقرارها في الدرس النحوي والتماسها

في التصحيح والتيسير – وبالتالي عدّها مظهرا من مظاهر التغير اللغوي–، وآخرون شدّوا الوثاق فمنعوها اعتقادا أنّ "هذا الباب يتلقّاه الناس مغسولا ساذجا من الصنعة وما أبعد الصواب عنه ،وأوقعه دونه"[14].

للتضمين في سياق المعجمات العربية دلالات عدّة تختلف باختلاف الوجوه التي استعمل فيها ،ولعلّ الدلالة الأقرب إلى مراد اللغويين هي أنّ التضمين "جعل الشيء في شيءٍ يحويه"[15] ،أمّا في الاصطلاح فعدّه التهانوي "إيقاع لفظ موقع غيره لتضمّنه معناه ،ويكون في الحروف والأفعال ،وذلك بأن تضمن حرفا معنى حرف أو فعلا معنى فعل آخر ،ويكون فيه معنى الفعلين معا ،وذلك بأن يأتي الفعل متعديا بحرف ليس من عادته التعدّي به ،فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصحّ التعدي به ،والأوّل تضمين الفعل ،والثاني تضمين الحرف"[16].

ومن أمثلة تضمين الفعل قوله تعالى: "ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم"[17] بمعنى: تضيفوا ،أمّا تضمين الحرف يذكر علماء النحو استعمال "على" بمعنى "في" ،نحو قوله تعالى: "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها"[18] ؛أي: في حين غفلة واستعمال "عن" بمعنى "على" ،نحو قول ذي الإصبع حرثان بن الحارث العدواني:

لاهِ ابنُ عمِّك لا أَفْضَلْت في حَسَبٍ عَـنِّي ،وَلا أنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

أي: لا أفضلت في حَسَبٍ عَلَيَّ[19] ،واستعمال "على" بمعنى "عن" في قول قحيف العقيلي مادحا:[20]

إذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُـــــو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أَعجَبَنِي رِضَاهَـــا

أي: إذا رضيت عنّي ،وأضاف الزركشي نوعا ثالثا أسماه "تضمين الاسم"[21]، كقوله تعالى: "حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق"[22] ،ضمّن حقيق معنى حريص ليفيد أنّه محقوق بقول الحق وحريص عليه.

ويجدر الإشارة في هذا الموضع إلى أنّ سيبويه (ت180هـ) نبّه إلى التضمين دون أن يصرح بلفظه، وذلك في باب "الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعولين..."، ثم ساق أمثلة منها: "ودعوته زيدا إذا أردت دعوته التي تجري مجرى سميته وإن عنيت الدعاء إلى أمر لم يجاوز مفعولا واحدا"[23]، ففي قوله تصريح بأن قصد المتكلم هو تضمين الفعل دعوت دلالة الفعل سميت فيتعدى تعديته، وإن لم يأت بلفظ "التضمين".

وللتضمين أكثر من عشرين صورة، نختصرها في الآتي:[24]

1. **تضمين فعل لازم دلالة فعل متعد لواحد بنفسه:**

كتضمين الفعل "شطّ" وهو لازم دلالة الفعل "جاوز" وهو متعد في قول الشاعر:

شطت مزار العاشقين، فأصبحت عَسِرا على طؤلابُها ابنةُ مَخْرَمِ

2. **تضمين فعل متعد لواحد دلالة فعل متعد لواحد:**

ومثاله: "أو كُلّما عاهدوا عهدا نَبَذَهُ فريقٌ منهم" (البقرة:100)، ضمّن "عاهدوا معنى :أعطَوْا" بناء على جعل "عهدا" مفعولا به على أحد وجهين فيه. والوجه الثاني أن يكون عهدا مصدرا من غير لفظ الفعل المذكور.

3. **تبادل التضمين بين فعلين أحدهما يتعدّى بنفسه والثاني يتعدّى بالحرف:**

ومثاله: الفعلان "جحد" و"كفر" في قوله تعالى: "وتلك عادٌ جحَدُوا بآيات ربّهم" (هود:59)، الفعل جحد يتعدّى بنفسه، فلمّا ضُمّن دلالة كفر في هذا الموضع عدّي بالباء. ويحدث العكس أيضا كما في قوله تعالى: "ألا إنّ عادا كفروا ربّهم" (هود:60) ضمّن "كفر" وهو يتعدّى بالباء دلالة "جحد" في هذا الموضع.

4. **تضمين فعل متعد لواحد معنى فعل متعد لاثنين:**

ومنه قول الشاعر:

ومَربوعةٍ رِبْعيّة قدْ لَبَأْتُهَا بِكَفّيَّ من دويَّةٍ سَفَراً سَفْراً

سفرا هنا مفعول ثان للبأتها، وعدّاه إلى مفعولين؛ لأنّه ضُمّن معنى أطعم.

5. تضمين فعل متعد إلى واحد دلالة فعل متعد إلى ثلاثة:

نحو: أنبأ، ونبّأ، وأخبر متى ضُمّنت معنى العِلْم عدّية لثلاثة مفاعيل. ومثاله: أنبأتك الجدَّ سبيلَ النجاحِ.

6. تضمين فعل متعد إلى اثنين دلالة فعل متعد لواحد بنفسه وللثاني بحرف الجر:

ومثاله: "وأمّا الذين في قلوبِهم مرضٌ فزادَتْهُم رِجْسا إلى رِجْسِهم" (التوبة: 125)، ضمّن الزيادة معنى الضم أي رجسا مضموما إلى رجسهم، ولذلك عدّى بـــإلى.

7. تضمين فعل متعد إلى اثنين بنفسه دلالة فعل متعد لواحد بحرف جر:

نحو الفعل "ظلم" يتعدّى إلى اثنين بنفسه تقول: ظلمته حقه، ويتعدى بالباء إذا تضمّن معنى "كفر" أو "كذّب"، كما فـــي قوله تعالى: "ثمّ بعثْنا مِنْ بعْدِهِم موسى بآياتِنا إلى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ فظَلَمُوا بهـــا" (الأعـــراف: 103)؛ أي كفـــروا وكذّبوا بها.

8. تضمين فعل يتعدّى بحرف دلالة فعل يتعدّى بحرف آخر فيتعدّى الأوّل بما يتعدّى به الثاني:

ومثاله قوله تعالى: "ثَقُلَتْ في السموات والأرض" (الأعراف: 187)، الفعل ثقل يتعدى بعلى، وقد ضُمّن هنا دلالة فعل يتعدّى بفي.

9. تضمين فعل يتعدى بحرف دلالة فعل يتعدّى بنفسه فيتعدّى الأوّل بنفسه:

كقوله تعالى: "أعَجِلْتُم أمر ربِّكُم" (الأعراف:150)، وعجل يتعدى بعن، وضُمّن هنا دلالة سبق فتعدّى بنفسه.

10. تضمين فعل يتعدّى بنفسه دلالة فعل يتعدّى بالحرف:

كقول الشاعر:

مِمن حَمَلْن به وهُنَّ عواقدٌ حُبك النِّطاق فشبَّ غير مُهبَّل

الفعل "حمل" الذي يتعدّى بنفسه عُدّي بالباء؛ لأنّه ضُمّن دلالة الفعل "حَبَلَ".

11. تضمين فعل يتعدّى بنفسه لواحد دلالة فعل يتعدّى بحرف فيتعدّى الأوّل بهذا الحرف:

ومنه قوله تعالى: "وقالَ اركبُوا فيها" (هود:41) ضمّن اركبوا دلالة صيروا أو ادخلوا فعُدّي بفي.

12. تضمين فعل يتعدّى لواحد بنفسه دلالة فعل يتعدّى لواحد بنفسه وللثاني بالحرف:

ومنه قول الفرزدق: "قد قتل الله زيادا عني"، وقتل يتعدّى بنفسه فلّما ضُمّن دلالة "صرف" عُدّي بعن.

13. تضمين فعل لازم دلالة فعل متعد بالحرف فيتعدّى الأوّل بهذا الحرف:

ومثاله قوله تعالى: "أنِ اغْدُوا على حَرْثِكُمْ" (ن: 22). ضمّن اغدوا معنى أقبلوا فعُدّي بعلى.

14. تضمين فعل متعد لاثنين وهو يتعدّى لأحدهما بالحرف دلالة فعل يتعدّى لاثنين بنفسه:

كما في قوله تعالى: "ومن يُعْرض عنْ ذكر ربّه يَسْلُكُه عَذابا صَعَداً" (الجن:17)؛ أي يُنْفذه. والشائع في القرآن أنّ سل يتعدّى إلى واحد بنفسه وإلى الثاني بحرف كما في قوله تعالى: "ما سلككم في سقر" (المدثّر:42).

15. تضمين الفعل المتعدّي إلى مفعول واحد معنى مناسبا يتسلط به على مفعوله وما عطف على مفعوله:

ومثاله ما ذهب إليه بعض النحاة في قوله: "وزججن الحواجب والعيونا"، تضمين الفعل العامل معنى يتسلط به علـــى المتعاطفين، ومن ثمّ أجازوا عطف العيون على الحواجب؛ لأنهم ضمنوا زججن دلالة حسّن.

16. تضمين كلمتين متضامتين دلالة فعل:

كقوله تعالى: "فأصبَح يُقلّبُ كفّيْه على ما أنفق" (الكهف:42)، التركيب "يقلب كفيه" عبارة اصطلاحية ضـــمنت دلالـــة الفعل يندم في الاستعمال العربي ولذا عدّي فعلها بعلى.

17. تضمين ليت دلالة الفعل تمنى:

وهذا على مذهب الكوفيين، فقد أجاز الفراء وقوع ليت موضع تمنّى، كما في قول الشاعر: "يا ليت أيام الصّبا رواجعا"، نصبت مفعولين لتضمنها معنى أتمنى.

18. تضمين أسماء أفعال الأمر دلالة لام الأمر:

وفي يقول ابن جني: "فإن قيل: فمن أين وجب بناء هذه الأسماء؟ فصواب القول في ذلك أنّ علة بنائها إنما هي تضمنها معنى لام الأمر، ألا ترى أنّ صه بمعنى اسكت، وأن أصل اسكت لتسكت...فلما ضمنت هذه الأسماء معنى لام الأمر شابهت الحرف فبنيت"[14].

19. تضمين صيغة فعّال دلالة صيغة فاعل:

ومن ذلك قول أبي ذؤيب:

حتى أُتيح لَهُ يوما بِمرقَبةٍ ذو مِرةٍ بِدوار الصّيد وجّاس.

عدّى وجّاس بالباء؛ لأنّه في معنى قولك عالم به.

20. تضمين الاسم دلالة المصدر:

ومن ذلك قول الأعشى: "سبحان من علقمة الفاخر"، قال ابن جني: "علق حرف الجر بسبحان لما كان معناه براءة منه"[15]، وسبحان اسم علم لمعنى البراءة، فعبر بالاسم عنها لأنّها في معناه.

21. تضمين اسم فاعل دلالة اسم فاعل آخر:

ومنه قوله تعالى: "ما هذه التماثيلُ التي أنتم لها عاكفون" (الأنبياء:52)، ضمّن عاكفون دلالة عابدين أو ملازمين ولذا عُدّي باللام.

- **الخلاف الحاصل في تناوب الحروف:**

قد شجر خلاف وجدل رحب في أمر تناوب حروف الجر بين البصريين والكوفيين، حيث منع البصريون وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها وأجاز الكوفيون ذلك، وحجّة البصريين "أنّ الأصل في كل حرف ألا يدلّ إلا على ما وضع له ،ولا يدلّ على معنى حرف آخر"[25]، فأهل الكوفة يحملون على ما يعطيه الظاهر من وضع الحرف موضع غيره، وأهل البصرة يبقون الحرف على معناه الذي عهد فيه ،إمّا بتأويل يقبله اللفظ، أو بأن يجعلوا العامل مضمنا معنى ما يعمل في ذلك الحرف[26].

فقوله تعالى: "ولأصلبَنّكم في جذوع النخل"[27] ذهب الكوفيون إلى أنّ "في" بمعنى "على"، ومنع البصريون ذلك وتأوّلوا النص بأنّ هناك تشبيها للمصلوب لتمكّنه من الجذع بالحالِّ في الشيء، فهو من باب المجاز، وإمّا على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى[28] ،ووافقهم ابن عصفور ،جاء في سياق ردّه على الكوفيين قوله: "لا حجة لهم –أي الكوفيين– في ذلك؛ لأنّ الجذوع قد صارت لهم بمعنى المكان لاستقرارهم فيها"[29]، أي إنّ "في" في موضعها ولا تناوب في الآية.

في حين ارتضى جمع آخر ما أقرّه الكوفيون من إمكان نيابة حروف الجر عن بعضها ،فقد عقد ابن قتيبة (ت276هـ) في كتابه "تأويل مشكل القرآن" بابا خاصا "لدخول حروف الصفات مكان بعض"[30] ،وأيضا خصّ في كتابه "أدب الكاتب" بابا لـ "دخول بعض الصفات على بعض"[31] ،وعقد الثعالبي (ت430هـ) في كتابه "سر العربية" فصلا في "وقوع حروف المعنى مواقع بعض"[32] ،وغير ذلك مما هو مقرّر في تضاعيف كتب اللغة والنحو.

ولكن ،ونحن نتحسس الطرح اللغوي والنحوي في مظان التراث العربي لمحنا شيئا مهما وهو أنّ عددا من الذين أجازوا تضمين الحرف وضعوا شرطا لتحقق ذلك ،وهو وجود صلة وتقارب بين الحرفين، فإذا انتفى التقارب لا يصحّ التناوب يقول ابن السراج (ت316هـ): "فهذه حقيقة تعاقب حروف الخفض فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز"[33] ،ووضّح ابن السيّد البَطليوسي هذه الفكرة بقوله: "هذا الباب أجازه قوم من النحويين أكثرهم من الكوفيين، ومنعه قوم أكثرهم من

البصريين، وفي القولين نظر ؛لأنّ من أجاز دون شرط وتقييد لزمه أن يجيز سرت إلى زيد وهو يريد مع زيد ،قياسا على قولهم: "إن فلانا لظريف عاقل إلى حسب ثاقب" ؛ أي: مع حسب ،ولزمه أن يجيز (زيد في عمرو) ؛أي: (مع عمرو)...

هذه المسائل لا يجيزها من يجيز إبدال الحروف ،ومن منع ذلك على الإطلاق لزمه أن يتعسّف في التأويل لكثير مما ورد؛ لأنّ في هذا الباب أشياء كثيرة يبعد تأويلها على غير البدل، ولا يمكن للمنكرين لهذا أن يقولوا: إنّ هذا من ضرورة الشعر ؛ لأنّ هذا النوع قد كثر وشاع، وأنّه يخصّ الشعر دون الكلام فإن لم يصح إنكار المنكرين له، وكان المجيزون له لا يجيزون من كل موضع، ثبت بهذا أنّه موقوف على السماع غير جائز القياس عليه"[34].

والنتيجة التي آل إليها البطليوسي بوقف التضمين على السماع ليست محلّ إجماع ،ذلك أنّ هناك جمعا من المتقدمين نادوا بقياسيته ،وتابعهم على ذلك المحدثون وإقرارهم به جاء مسايرة "مع واقع الحياة الاجتماعية وظروف اللغة المستعملة"، ولكن هذا لم يمنع هذا الاتجاه من تأكيد أنّه "إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلوله ،فإنّه يكون أولى"[35].

ولعل ما يستوقف الباحث والناظر اللغوي في زاوية أخرى من زوايا بحث هذا المبدإ التساؤل الآتي: أليس التضمين ضربا من المجاز؟، انقسمت في الحقيقة الآراء إلى ثلاثة مذاهب:[36]

-**الأوّل:** يرى أنّ المادة المتضمنة قد استخدمت على الوجه الحقيقي مع قطع الصلة بينها وبين الأصل.

-**الثاني:** يرى أنّ المادة استخدمت على الوجه المجازي ،مع توفر القرينة التي تدلّ على ذلك.

-**الثالث:** رأي توفيقي يجمع بين الحقيقة والمجاز.

وأيّا كان نوع الخلاف الدائر حول التضمين ،بين الإقرار والمنع ،وبين السماع والقياس، وبين الحقيقة والمجاز يكفينا أنّه "لا يخالف طبيعة اللغة وروحها ولا يُصادم قاعدة مقرّرة فيها وهو أدخل في باب الأسلوب(...) وقد يكون من آثار التوليد والقياس ومحاكاة النظير،(ومظهرا من مظاهر التطور والنمو)،فأيّ حرج في هذا ؟"[37] وبناء على هذا الاعتقاد تمّ -في العصر الحديث-إجازة وتصحيح الكثير من الاستعمالات بحملها على التضمين.

تصحيح الاستعمال بتضمين الحرف:

وشمل عددا من حروف الجر نذكر منها: على ،بـ ،لـ ،في ،عن وغيرها ولعل الأمر يتضح من خلال الاستعمالات الآتية:

-"آخذَه على ذنبه" ،مرفوضة عند بعضهم ؛لأنّ الفعل "آخذ" لا يتعدّى بـ"على" وإنّما يتعدّى إلى المفعول الثاني بالباء ،فالفصيح أن يقال: آخذَه بذنبه ،ومع ذلك تمّ تصحيح الاستعمال المرفوض بإجازة اللغويين نيابة حروف الجر بعضها عن بعض كما أجازوا تضمين فعل معنى فعل آخر فيتعدّى تعديته ،جاء في المصباح: "الفعل إذا تضمّن معنى فعل جاز أن يعمل عمله"[38]،وقد أقرّ مجمع اللغة المصري هذا وذاك[39].

-"أجاب على السؤال"، مرفوضة عند بعضهم؛ لأنّ الفعل "أجاب" لا يتعدّى بـ "على" وإنّما بـ "عن"، فالأفصح أن يقال: "أجاب عن السؤال"، وتمّ قبول وتصحيح الاستعمال المرفوض باعتماد التضمين[40].

-"أثّر به كثيرا موتُ صديقه" ،مرفوضة عند بعضهم لتعدية الفعل بالباء ،وهو يتعدّى بـ "في" ،الفصيح أن يقال: أثّر فيه كثيرا موتُ صديقه ،وأجاز جمعٌ الاستعمال المرفوض بالاستناد إلى قاعدة التضمين[41]،ودلّ القرآن على هذا ،في مثل قوله تعالى:"ولقد نصركم الله ببدْرٍ"[42] ؛أي في بدر ،وقوله تعالى: "إنّ أوّل بيتٍ وُضع للنّاس للّذي ببكة"[43] ؛أي في بكّة.

-"أخلّ في عمله" ،مرفوضة عند جماعة ؛لاستعمال حرف الجر "في" بدلا من حرف الجر "الباء"،الفصيح: أخلّ بعمله وتمّ تصحيح الاستعمال المرفوض بالاحتجاج بالتضمين[44].

-"لا أبالي له" ،مرفوضة عند بعضهم ؛لأنّ الفعل "بالى" لا يتعدّى باللام ،وإنّما بنفسه "لا أباليه" ،أو بحرف الباء نحو: "لا أبالي به" ،وقد صحّح أحمد مختار الاستعمال المرفوض استنادا إلى إجازة اللغويين نيابة حروف الجر بعضها عن بعض[45] ،وهذا ما أقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة من قبل.

-"أحال الأمر إلى فلان" ،مرفوضة عند بعضهم ؛لأنّ الفعل "أحال" لا يتعدّى بـ "إلى" ،وإنّما بـ "على" ،الفصيح: أحال الأمر على فلان ،وصحح جماعة الاستعمال المرفوض بإجازة نيابة الحروف بعضها عن بعض[46] .

تصحيح الاستعمال بتضمين الفعل:

-"آمل في النجاح" ،مرفوضة عند بعضهم لتعدية الفعل بحرف الجر "في" ،وهو يتعدّى بنفسه الفصيح: آمل النجاح ويمكن تصحيح الاستعمال المرفوض بتضمين"آمل"معنى الفعل "أطمع" أو "أرغب" فيتعدّى مثلهما بحرف الجرّ "في"[47].

-"حرق الخشب فأحاله رمادا"، مرفوضة عند البعض؛ لتعدّي الفعل إلى المفعول الثاني بنفسه، وهو يتعدّى بحرف الجر الفصيح: حرق الخشب فأحاله إلى رماد وصُحّح الاستعمال المرفوض بتضمين الفعل "أحال" معنى الفعل "صيّر" فيكون متعدّيا إلى مفعولين بنفسه[48].

-"أخلف صديقي بوعده" ،مرفوضة عند بعضهم ؛لتعدّي الفعل "أخلف" بحرف الجرّ "الباء" ،وهو متعد بنفسه الفصيح: أخلف صديقي وعده ،أخلفني صديقي الوعد ،ودليل الأوّل من القرآن:"فأخلفتم موعدي"[49] ،ودليل الثاني: "أخلفوا الله ما وعدوه"[50] ويمكن تصحيح الاستعمال المرفوض بتضمين "أخلف" معنى "لم يبر" ،فيُعدّى بالباء[51].

-"شنّوا حربا أدّت بهم إلى الهلاك" ،مرفوضة عند البعض ؛لأنّ الفعل قد تعدّى إلى كلّ من المفعولين بحرف جر والمعروف تعدية الفعل "أدّى" إلى مفعول واحد بنفسه وإلى ثان بحرف الجر، الفصيح: شنّوا حربا أدّت الهلاك إليهم ،وصحّح بعضهم العبارة المرفوضة بتضمين الفعل "أدّى" معنى "أفضى"[52].

-"أبى عن ذلك" ،رفضها بعضهم ؛لتعدية الفعل بـ "عن" ،وهو يتعدّى بنفسه الفصيح: أبى ذلك قال تعالى: "ويأبى الله إلا أن يُتمّ نورَه"[53] ،وصحّحها بعضهم على أساس تضمين الفعل "أبى" معنى الفعل "ترفّع" أو "امتنع" اللذين يتعديان بحرف الجر "عن"[54].

ويحسن الإشارة إلى أن الدرس اللساني الحديث التفت إلى قضية التضمين وعدّها الناحية الإدراكية في اللغة **Conceptual Structure** ووسمها أصحاب النحو التوليدي بالبنية العميقة **Deep Structure – Structure Profonde** وهي البنية المسئولة عن التفسير الدلالي للغة في مقابل البنية السطحية **Structure superficielle– Surface Structure** التي تعنى بالجانب الصوتي للتراكيب[55]. ومع اتفاق أصحاب المدرسة التوليدية التحويلية على أن التضمين يشكّل نقطة تفاعل وتأثير بين الدلالة والنحو غير أنّهم اختلفوا وانقسموا إلى فريقين:[56]

- الأول: يمثله تشومسكي وهو يعتقد أنّ النحو هو المكوّن الخلاق في القواعد وهو الذي ينفذ الخطوة الأولى ثم يأتي المعنى والصوت لينفذا الخطوة التالية.
- الثاني: ويمثله خصوم تشومسكي، وهو يعتقدون أن المكوّن الدلالي هو الجزء الخلاق في القواعد وأنّ الشرارة الأولى تنطلق منه ثم يتولى المكون النحوي بعد ذلك الخطوات التالية في تكوين الجملة، وهذا بدوره يؤدي إلى طرح سؤال مهم هو: هل المكنة التوليدية اللغوية البيولوجية ذات طبيعة نحوية تركيبية أم أنّها ذات طبيعة دلالية؟.

وقد رأى فريد عوض حيدر في التضمين ما يؤيد الفرقة الثانية، إذ يقوم التضمين في الأصل على الجانب الدلالي الذي يؤثر في الفعل فيحوله من اللزوم إلى التعدّي أو العكس، ثم يأتي دور المكوّن النحوي الذي يكمل

ما بدأه التضمين من تكوين الجملة حسب ما يتطلبه المكوّن الدلالي في البداية، فيضيف عناصر لغوية أو يحذف منها، فإذا ضمّن الفعل اللازم دلالة فعل متعد أدّى ذلك إلى زيادة (العناصر التركيبية **Structural Elements** المطلوبة، تلك العناصر التي تمثل أدوار المشاركين بتعبير هاليداي **Participant Roles** وإذا ضُمّن الفعل المُتعدّي لاثنين دلالة فعل متعد لواحد حدث نقص في عدد المشاركين[57].

1 ينظر: إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجيل، ط1، 1995، بيروت، ص112.

2 سورة يوسف، الآية: 32.

3 ابن هشام، مغني اللبيب، ط دار الكتاب العربي، ص372.

4 المصدر نفسه، ص371.

5 جرير، الديوان، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص226.

6 أبو الطيب المتنبي، الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط نصه كمال طالب، دار الكتب العلمية، ط1 1997، بيروت، 382/3.

7 إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، ص113.

8 ينظر: المرجع نفسه، ص116-172.

9 سورة مريم، الآية: 69.

10 ابن هشام، مغني اللبيب، ص78-409.

11 سيبويه، الكتاب،،تحـــ: محمد عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي ،القاهرة 113/3.

12 السيوطي، همع الهوامع، دار الكتب العلمية، 112/1.

13 الحطيئة، الديوان، دار المعرفة، بيروت، ص397.

14 ابن جني ،الخصائص تحـــ:محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية ،2/7-8.

15 ابن فارس ،مقاييس اللغة ،تحـــ: شهاب الدين أبو عمرو ،دار الفكر ،لبنان ،ص603.

16 التهانوي محمد علي ،كشاف اصطلاحات الفنون ،تحـــ: علي دحروج ،مكتبة لبنان ،ط1 ،سنة 1996 ،لبنان ،469/1.

17 سورة النساء ،الآية: 02.

18 سورة القصص ،الآية:15.

19 ابن عقيل ،شرحه على الألفية ،دار التراث ،ط20 ،يوليو1980 ،القاهرة ،23/3.

20 المصدر نفسه ،25/3.

21 الزركشي بدر الدين ،البرهان في علوم القرآن ،تحـــ:محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار التراث ،القاهرة ،338/3.

22 سورة الأعراف ،الآية:105.

23 سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، 37/1.

24 ينظر: فريد عوض حيدر، فصول في علم الدلالة، مكتبة الآداب، ط1، 2005، القاهرة، ص17...28. (وقد ذكر جميع الصور).

25 الأنباري ،الإنصاف في مسائل الخلاف ،دار الطلائع ،ط2005 ،القاهرة ،47/2.

26 ينظر نور الهدى لوشن ،حروف الجر في العربية بين المصطلح والوظيفة ،المكتب الجامعي الحديث ،ط2006 ،ص94.

27 سورة طه ،الآية:71.

28 ينظر ابن هشام ،مغني اللبيب ،تحـــ: بركات يوسف هبّود ،دار الأرقم بن أبي الأرقم ،ط1 ،1999 ،لبنان ،266/1-267.

29 ابن عصفور ،شرح جمل الزجاجي ،تحـــ:صاحب أبو جناح ،دار الكتب للطباعة ،ط1980 ،العراق ،511/1.

30 ابن قتيبة ،تأويل مشكل القرآن ،علّق عليه إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،ط1 ،2002 ،بيروت ،ص298.

31 ابن قتيبة ،أدب الكاتب ،شرحه علي فاعور ،دار الكتب العلمية ،ط3 ،2003 ،بيروت ،ص329.

32 الثعالبي ،فقه اللغة وسر العربية ،تحـــ: املين نسيب ،دار الجيل ،ط1 ،1998 ،بيروت ،ص428.

33 ابن السراج ،الأصول في النحو ،تحـــ: محمد عثمان ،مكتبة الثقافة الدينية ،ط1 ،2009 ،القاهرة ،369/1.

34 البطليوسي ،الاقتضاب،دار الجيل ،بيروت ،338/1-339.

35 نور الهدى لوشن ،حروف الجر في العربية بين المصطلح والوظيفة ، ص97.

36 ينظر المرجع نفسه ،ص95.

37 أحمد مختار عمر ،العربية الصحيحة ،عالم الكتب ،ط2 ،سنة1998،ص165.

38 أحمد بن محمد بن علي الفيومي ،قاموس اللغة-المصباح المنير ،طبعة نوبليس ،القاهرة ،505/4.

39 أحمد مختار عمر ،معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، ،ص1.

40 ينظر المرجع نفسه ،ص11.

41 ينظر المرجع نفسه ،ص9.

42 سورة آل عمران ،الآية:123.

43 سورة آل عمران ،الآية:96.

44 ينظر المرجع نفسه ،ص11.

45 أحمد مختار عمر ،معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي ،ص4.

46 ينظر المرجع نفسه ،ص16.

47 المرجع نفسه ،ص3.

48 ينظر المرجع نفسه ،ص16.

49 سورة طه ،الآية:86.

50 سورة التوبة ،الآية:77.

51 ينظر المرجع نفسه ،ص25.

52 ينظر المرجع نفسه ،ص27.

53 سورة التوبة ،الآية:32.

54 ينظر المرجع نفسه ،ص7.

55 ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص148-157. وينظر: فريد عوض حيدر، فصول في علم الدلالة، ص15.

56 ينظر: جون لاينز: علم الدلالة السلوكي ضمن كتابه علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1986، ص13-14. وينظر: فريد عوض حيدر، فصول في علم الدلالة، ص31.

57 فريد عوض حيدر، فصول في علم الدلالة، ص31-32.